نبي الله نوح عليه السلام

وراثة التدين...

ربما لا يعرف الكثير منا سيّدنا نوحاً معرفة جيدة... ولكن كل من يتعرّف عليه بصورة متكاملة يحبه حباً شديداً، وكل إنسان يريد تعليم الناس الخير ويتخذ له مثلاً أعلى يتأسى به، يكون سيّدنا نوح من ضمن الأمثلة.

وسيدنا نوح من عائلة كريمة، جَدُّ جَدِّه هو سيدنا إدريس، وجَدُّه السادس آدم. فهل عائلاتنا تحرص على الذرية الطيبة، يهتم الأب بصلاح أولاده؟ هل أمل الآباء والأمهات أن يكون النسل صالحاً متديناً؟ هل أمل الفتاة أن يكون شريك حياتها المتديّن التّقي قبل جمال المنظر والمال والمستوى الاجتماعي؟ وإن كانت هذه الأشياء مطلوبة ولكن بعد الصلاح والتدين، وذلك لضمان صلاح الذرية.

فهذه العائلة من أول نوح إلى آدم عائلة متدينة صالحة تخرّج الأنبياء.

يا شباب... لا يستقيم الظل والعود أعوج ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾ [الأعراف: 58].

هذه رواية...!!

كان بين آدم ونوح عشرة قرون لحديث رواه مسلم عن رسول الله ﷺ أنه سئل: أنبياً كان آدم؟ قال: «**نعم، نبي مُكَلَّم**» فقالوا: يا رسول الله، فكم كان بينه وبين نوح؟ قال: «**عشرة قرون**».

فإذا كان المقصود بالقرن (100) سنة، يكون بينهما (1000) سنة. إلا أن كلمة «القرن» من اللغة العربية من معانيها «الجيل» ومدة حياة الجيل (1000) سنة، فيكون بينهما (10000) سنة.

وهذه رواية أخرى...

وللبخاري رواية أخرى غير رواية مسلم، وهي قول النبي ﷺ: «**كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الإسلام**» وهنا نخرج بأشياء هامة. أن الأرض ظلت على الإسلام (1000) سنة أو (10000) سنة، إذاً الأصل في الأرض أنها طائعة لله، والشرك والكفر طارىء شاذ عليها وليس أصلاً فيها... ترى هل تعود الأرض لسابق عهدها...؟! نعم... ويأبى الله أن تختم الأرض إلا كما بدأت.

يقول النبي ﷺ: «**إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها وإن ملك أمتي سيصل ما زوى لي منها**»[1].

افهموا هذه المعاني جيداً يا شباب حتى لا تيأسوا ويفارق الأمل قلوبكم، حتى تكونوا فضورين بإسلامكم، حتى لا يستحي شاب من تدينه، أو تستحي فتاة من حجابها استشعروا يا شباب الإسلام أن وجودكم يثبت وجود أهل الإيمان في الأرض، ويثبت الأمل في رجوعها كما كانت.

إن الدين هو الإسلام...

ذكر في الحديث الذي رواه البخاري: أن بين آدم ونوح عشرة قرون كلها على الإسلام ومعنى هذا: أن سيدنا نوحاً كان يدين بالإسلام. ولا تظن أن الإسلام خاص بنبي الله سيّدنا محمد ﷺ؛ لأن الإسلام هو دين الأنبياء كلهم. وإليك الدليل.

ـ يقول تبارك وتعالى على لسان سيدنا نوح: ﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾﴾ [يونس: 72].

ـ وقال على لسان إبراهيم وإسماعيل وهما يبنيان الكعبة: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾ [البقرة: 128].

ـ وقال على لسان يعقوب وهو إسرائيل الذي ينتسب اليهود إليه: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ

(1) أخرجه مسلم في (الحديث: 7187)، وأخرجه أبو داود في (اليحديث: 4252)، وأخرجه الترمذي في (الحديث: 2176)، وأخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (الحديث: 4/ 123).

وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ [البقرة: 132]،

- وقال على لسان موسى: ﴿إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ﴾ [يونس: 84].

- وقال على لسان عيسى: ﴿۞ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾ [آل عمران: 52].

- ويقول تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: 19]. ويقول: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ [آل عمران: 85].

فالدين كله من لدن آدم إلى رسول الله ﷺ دين واحد اسمه: الإسلام وقال ﷺ: «**إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة، فجعل الناس يطوفون بالبيت ويقولون: ما أحسنه وما أجمله لولا موضع هذه اللبنة. فأنا موضع اللبنة وأنا خاتم النبيين**»[1] فكله دين واحد وكله بناء واحد.

أمة لا تموت...!!

ظلّت الأرض مسلمة (10000) سنة بعد آدم وبدأت تتغير بفعل الشيطان، فبعد أن كان جهده مُنصباً على العُرْي وفتنة النساء، أضاف إليهما أمراً يكثر من بعث النار وهو الشرك بالله.

الفترة بين آدم ونوح لم يرسل فيها إلا نبي واحد: هو إدريس لماذا؟ فهذه الفترة من أولها إلى آخرها لم يبعث إلا ثلاثة أو أربعة رسل، منهم: آدم ونوح... فلماذا؟ لأن الأرض مسلمة والناس مستقيمة ليسوا بحاجة إلى كثرة أنبياء. إلا أنه وجد في هذه الفترة علماء يأخذون بيد الناس. كما أنه لم ولن يبعث نبي بعد رسول الله ﷺ والأمة مطالبة بهذا الدور وهو دور كل مسلم يعلم شيئاً من الخير يقول ﷺ: «**بلغوا عني ولو آية**»[2]. والخير في هذه الأمة إلى يوم القيامة.

---

(1) ذكره **الزبيدي** في «إتحاف السادة المتقين» (2/ 202).

(2) أخرجه **الترمذي** في (الحديث: 2669)، وأخرجه الإمام **أحمد** في «مسنده» (الحديث: 2/ 159)، وأخرجه **الدارمي** في «سننه» (الحديث: 1/ 136).

الجار بين جيرانه مسلم يدعو الى اللّه، الصديق بين أصدقائه، المرأة في بيتها، الفتاة في جامعتها، الشباب في الجامعة، الآباء والأمهات في بيوتهم. فهذا فضركم وعزّكم يا شباب: «من أحسن قولاً ممن دعا الى اللّه وعمل صالحاً ﴿وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت: 33].

تُرى... بكم تَزِن...؟!

جاء كثير من العلماء بين آدم ونوح ولكن كان منهم خمسة متميزون جداً، أسماؤهم: (وَدّ ـ سواع ـ يغوث ـ يعوق ـ نَسْر) ذُكروا في سورة نوح. هؤلاء الخمسة كانوا علماء أحبهم الناس وعظمت استفادتهم منهم وتعلّقوا بهم، فاستقام بهم الأمر.

وإبليس لا يعجبه هذا ولكنه لا ييأس وينتظر اللحظة المناسبة. وإبليس لا يأتي الإنسان في لحظة قوة، وإنما يحاول أن ينال منه في لحظة ضعف. والأرض في حياة هؤلاء كانت في لحظات قوّتها فلم يستطع أن ينال من إيمان الناس فماذا يفعل؟ انتظر حتى يموت الخمسة الذين حفظوا الأرض.

هؤلاء الخمسة لا حيلة لإبليس معهم ومع من حولهم. فهل منا من يعمل الشيطان له حساباً ويخشاه؟! أم أصبحنا من زبائنه؟ ترى بكم يوزن الواحد من هؤلاء الخمسة؟ لا شك بآلاف. فبكم تَزِن أنت؟ هناك حكمة تقول: كُنْ رجلاً بألف رجل فإن لم تستطع فكن رجلاً ولا تكن نصف رجل.

من المسلمين من يعدُّ بعشرة أو بمئات. هناك من تعلّم صديقاتها القرآن، وهناك من يأخذ بيد أصحابه أو زملائه في المصنع أو في النادي يحثهم على الصلاة، أو يأخذ بيد جيرانه في العمارة.

فبكم أنت؟ بالف؟ أم بمائة؟ أم بنفسك؟ وهناك من هو بنصف أو بصفر. يا شباب... اتركوا بصمة للّه في حياتكم. يقول الرافعي: «ان لم تزد شيئاً على الدنيا كنت أنت زائداً على الدنيا».

بداية عبادة الأصنام

ظل إبليس منتظراً موت العلماء الخمسة حتى ماتوا... وذهب إلى الناس المتعلّقين بهم. وقال لهم: أقيموا لهم تماثيل على هيئتهم تخليداً لذكراهم حتى لا ينساهم الناس

ويتذكروهم بسيرتهم الصالحة فيفعلوا مثلهم ويقتدوا بهم... ففعلوا هذا تحت اسم الوفاء بهم... وظل إبليس ينتظر حتى يموت الجيل الأول، لأنه لا يستطيع أن يوسوس لهم بعبادة هذه التماثيل. أرأيتم صبره حتى يتمكن من الإيقاع في المعصية؟

انتهى الجيل الأول، وذهب إبليس إلى الجيل الثاني وقال لهم: أولى بكم أن تطوفوا حول هذه التماثيل لتكونوا أقرب إلى الله. وانتهى الجيل الثاني، وذهب إلى الثالث وقال لهم: لو سجدتم لهذه الأصنام لكان قربكم إلى الله أسرع، فسجدوا لها فعبدوها. وعُبدت الأصنام في الجيل الثالث بعد موت العلماء الخمسة.

ولا تنتهي حربه الا بنهاية الأجل... ولهذا يجب الانتباه لخطواته في كل وقت وأن نبادر بعد كل ذنب بتوبة، حتى لا تعز علينا الرجعة الى الله بعد طول الف المعصية، وقد لا يمتد بنا الأجل حتى ندرك الأمر بتوبة... فالبدار البدار... والانتباه الانتباه ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾.

خطوات الشيطان

قد نقع نحن في مثل هذا... قال لي شاب تائب: لقد ظللت (20) سنة أقع في الزنى. وقبل ذلك لم يقع في ظني أبداً أن أفعل هذا. والأمر بدأ معي بإطلاق النظر هنا وهناك... ولم يقع في خاطري الزنى وقتها، فالشيطان لا يبدأ بهذه المعصية في أول الطريق... ولكنه يقدم لها بمقدمات... وظلّ الشيطان يُزيّن لي النظر حتى وقعت في الزنى.

فإذا عزم شاب على قطع علاقته ببنت يتركه الشيطان ثم يقول له: اسأل عليها مرة واحدة في الشهر فيوافق ثم ينتظر منه لحظة ضعف فيعود الأمر على ما كان عليه أو أشد.

وإذا عزم شاب على ترك المعاصي وقطع علاقاته، قال له: لا تمسح أرقام التليفونات من المحمول... ربما يهديهم الله على يديك، ربما تدعوهم إلى الله، وينتظر عاماً أو عامين حتى تأتي لحظة الضعف المناسبة.

ولذلك لا تترك الباب مفتوحاً بعض الشيء، فباب الفتنة إما مغلق وإما مفتوح وليس فيه بين بين. يقول لك: اسهر مع الشلة ولا تشرب الخمر معهم. وبعد قليل تشربها. هل سمعتم يا شباب بمن شرب المخدرات ولم يشرب السجائر قبله.

فالشيطان كالمرض يرضى من الإنسان بأي شيء وإذا تركت له باباً مفتوحاً بعض الشيء فقد تركت له ما يطمع فيك... فانتبهوا لخطواته يا شباب وأغلقوا دونه الأبواب.

المصلحون في كل زمان ومكان

عندما بدأت عبادة الأصنام في الأرض، أرسل الله سيّدنا نوحاً، وهذا من رحمة الله بهم كي يدركهم قبل أن يكونوا حَطَباً لجهنم، ولا تخلو الأرض من مصلحين يقوّم الله بهم العوج... فإذا كان الشيطان قد أغواهم على مدار ثلاثة أجيال حتى زين لهم الكفر والشرك جاء سيدنا نوح ليذكرهم بالله.

وأنت كذلك أيها المسلم ربما يكون الشيطان قد ضحك عليك فبعث الله من يثبتك على الحق، في صورة صديق يأخذ بقلبك إلى طاعة الله، أو شريط، أو درس علم، أو كتاب، وما يعلم جنود ربك إلا هو.

فهل نقبل النصح يا شباب أم نرفضه؟ هل نغار على ديننا ونصبه أكثر ونقول: سنعيش للإسلام لنكون مثل نبي الله نوح؟ آمل ذلك.

مراحل ثلاثة

يظن البعض أن عمر سيدنا نوح (950) سنة. وهذه السنوات هي عُمْر الدعوة فقط ﴿فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾ [العنكبوت: 14]. أما عمره الحقيقي فمقسم ثلاثة أقسام:

- **المرحلة الأولى**: من الولادة حتى البعثة - وهو حوالي أربعون أو خمسون عاماً.
- **المرحلة الثانية**: من البعثة إلى الطوفان. وهي (950) سنة.
- **المرحلة الثالثة**: من استقرار السفينة بعد الطوفان حتى الوفاة.

وبذلك يتجاوز عمر سيّدنا نوح ألف سنة، فهو أطول الأنبياء عمراً.

هل لاحظتم يا شباب عمر الدعوة في حياته، ما يقرب من عشرة قرون، لم

يملّ ولم يضعف ولم يشكّ في الحق الذي أُنزل عليه على مدار هذه القرون؛ لأنه موصول بالله... وما كان لله دام واتصل.

لطيفة...

يقول القرآن: ﴿فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾. كان من الممكن أن يقول رب العزة: إنهم تسعمائة وخمسون سنة. فلماذا ألف سنة إلا خمسين عاماً؟ أولاً: نلاحظ أن عمر الدعوة من خلال الآية (1000) سنة لا (950). كيف ذلك؟! يقول العلماء: إن لفظ (سنة) يطلق على الأيام الشديدة الصعبة. ولفظ (عام) يطلق على الأيام السهلة، أيام الرخاء والنعيم. عندما قال يوسف: ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ﴾ [يوسف: 47] كان يقصد الأيام الشاقة، كذلك قول رب العزة: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ [الأعراف: 130] فهي أيام قحط وجفاف. وعندما ذكر سيدنا يوسف أيام الرخاء قال: ﴿ثُمَّ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ﴾ [يوسف: 49] وبذلك يكون سيّدنا نوح قد لبث فيهم ألف سنة شقاء إلا خمسين عاماً في رخاء. وعلى كل حال قد مكث يدعوهم قروناً طويلة ملؤها الشقاء والشدائد مما يظهر كمال عزيمته.

ماذا فعلت لدين الله...؟!

ظلّ سيدنا نوح يدعوهم (900) سنة، فكم من الناس آمن به؟ يقول تبارك وتعالى: ﴿وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ وعلى أكثر تقدير المفسرين أن هذا القليل (80) فرداً. هل أنت متخيّل؟ بمعنى: أن كل (12) سنة يؤمن به واحد. فمن يتحمل هذا؟! يا شباب: تعرفوا على هذا النموذج وقارنوه بأنفسكم... ماذا فعلت لدينك؟ ماذا تصنعين في حياتك؟ ما هي أهدافكم يا شباب؟ لماذا نعيش؟ هل يوجد من هو يعيش لدينه ويتحمل من أجله الأذى والضرب والسخرية والتهديد. (950) سنة لاقى فيها سيّدنا نوح جميع أنواع البلاء... كانوا يضربونه حتى يغشى عليه فيضعونه في حصيرة ويلقون به في التراب يظنونه سيموت. ثم يشفيه الله، ويعود إليهم يدعوهم إلى الله.

أي عزم هذا؟! وأي ارادة هذه؟! هل قرأنا في القرآن انه شكا الى الله متألّم - بقوله: ضربوني وأهانوني، لا ولم يحدث، وما دعا عليهم الا خوفاً على الفئة المؤمنة من الفتنة لا خوفاً على نفسه، وما دعا عليهم، الا بعد ما عرف من ربه «أنه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن».

ومن يطيق ذلك...؟!

لذلك كان من أُولي العزم من الرسل... كان الرجل عند موته يوصي أولاده بعدم اتباع نوح... وكان الآباء عندما يعي الأولاد ما حولهم يوصونهم بعدم تصديقه... وكانت الأجيال تتوارث هذه الوصايا على مدار قرون طويلة... فمن يتحمل هذا؟!

اتهامات وتهديدات

اتهمه قومه باتهامات كثيرة وهددوه بالقتل... فما هي هذه الاتهامات؟

- اتهموه بالضلال: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: 60، 61].

- اتهموه بالجنون: ﴿۞ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا وَقَالُوا۟ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ ﴿٩﴾﴾ [القمر: 9] تخيّل رجلاً في سنه يسير ووراءه من يقول: مجنون، مجنون، مجنون...

- اتهموه بالتخبط كالممسوس من الجن فقالوا: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ﴾.

- هددوه بالقتل رجماً: ﴿قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾﴾ [الشعراء: 116].

- دأبوا على السخرية منه: ﴿وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟ مِنْهُ قَالَ إِن تَسْخَرُوا۟ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾ [هود: 38]. كل هذا صبر عليه سيّدنا نوح قروناً طويلة ومثله صبر عليه رسول الله ﷺ.

دين غالٍ طريقه أشواك

أتعرف لماذا تحمل سيّدنا نوح هذا كله...؟ لتعلم أن هذا الدين غالٍ ولتحافظ عليه ولا تفرّط فيه... وعندما تعلم ما حدث لحبيبك المصطفى ﷺ من أجل أن يصل إليك هذا الدين ستشعر بقيمته.

مشى النبي ﷺ إلى الطائف (100) كيلو متر على قدميه فوقف أهل الطائف صفّين واستقبلوه بالحجارة... فظل النبي ﷺ يجري ويتبعونه، وسنّه (50) سنة، يجري والحجارة

تأتيه من كل مكان لدرجة أن سيّدنا زيد بن حارثة احتضن النبي ﷺ ليحميه من الحجارة فأغرقت الدماء رأس زيد وقدم النبي ﷺ.

لو كان رجلاً آخر في هذه السن، هل يتحمل؟ تخيّل أنه والدك هل يطيق؟ كل هذا وغيره تحمله سيّدنا نوح وسيّدنا محمد عليهما الصلاة والسلام.

- وأنت لا تستطيع القيام لصلاة الفجر بسبب الكسل أو امتلاء البطن.

هل علمتم يا شباب لماذا تحمّل الأنبياء مثل هذا في جنب الله؟ لتظل كلمة الحق خالدة على وجه الأرض، ولتبقى راية الخير مرفوعة أبد الدهر، فهل تحملوها لمن بعدكم؟

تحملوا ذلك من أجلك...!!

تحمّل النبي ﷺ كل هذا ليصل إلينا الإسلام، تحمله من أجلنا لكي تصبح أنت وأنا وهي مسلمين موحدين بالله. فماذا صنعنا بديننا؟ وما علاقتنا بإسلامنا؟ وما قدر حبنا لديننا؟

ذهب النبي ﷺ وقدماه داميتان إلى بستان ليختبىء فيه من الحجارة وظل يدعو ربه: **«اللهم إليك أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس»**[1].

سنُسأل عن ديننا أمام ربنا يوم القيامة... فماذا سنقول لله؟ وبماذا نخبر رسول الله ﷺ... كم من دماء أريقت ونفوس أزهقت وحرمات انتهكت وأطفال يُتّمت ونساء ترمّلت ليصل الينا هذا الدين... فما قدره عندنا؟

ماذا دهاكم...؟!

كان النبي ﷺ مرة في وسط قريش فالتف حوله عشرة، هذا يضربه وهذا يجذبه، واختلفت أيديهم عليه. يقول سيّدنا علي بن أبي طالب ﷺ: فلم يستطع أحد منا أن يتدخل فوقفنا ننظر، فكان أشجعنا أبو بكر الصديق، فدخل بينهم يدفعهم ويقول لهم: أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله. فتركوا النبي ﷺ وأخذوا أبا بكر، فدفعه عقبة بن أبي معيط فسقط أبو بكر على ظهره ووقف عقبة على بطن أبي بكر وخلع حذاءه وظل يضرب أبا بكر على وجهه

(1) أخرجه **الطبري في «تاريخه»** (2/ 345).

فانتفخ، فلم نعرف له وجهاً من أنف، فحملوه إلى بيته لا يشكون أنه سيموت. وعندما أفاق قال: ماذا فعل رسول الله ﷺ؟ فقالوا: هو بخير. فقال: لا أتذوق الطعام حتى أنظر إليه بعيني.

فهم تحمَّلوا كل هذا لتكون مسلماً ولتكوني مسلمة، فيأتي في نهاية الأمر من يقول: لا أستطيع فراق صاحبتي. ومن تقول: لا أستطيع ارتداء الحجاب. لا أستطيع ترك السيجارة لأني ضعيف، لا أستطيع...، لا أقوى على...

وتلك أعظم خيانة للأمانة التي عبرت القرون على صبر هؤلاء ودمائهم وأشلائهم، ويوم القيامة يوضع ميزان السماء لتصفية حساب أهل الأرض، فمن وفّى فلنفسه ومن نكث فإنما ينكث على نفسه.

هدف واحد

لماذا يا شباب أصبحنا هكذا؟! لماذا هان علينا ديننا... هل علمتم ما حدث لخبَّاب بن الأرت... أخذه المشركون فأوقدوا فحماً وطرحوه عليه، فيقول خبّاب: فما يطفىء الفحم إلا شحم ظهري.

إننا نذكر هذه النماذج من أجل هدف واحد، وهو أن تستشعر قيمة هذا الدين. أليس الأنبياء وسيّدنا نوح وسيّدنا محمد أحب الخلق إلى الله؟ بلى. أليس بلال وأبو بكر وخبّاب من أحب العباد إلى الله؟ بلى. فلماذا حدث لهم هذا وتحملوه؟ فتعرف أنه من أجل الإسلام.

فتصبون دينكم وتستشعرون عظمته وعظمة من حملوه الينا... أم يصبح بعد ذلك التدين صعباً والإقبال على اللّه أمراً ثقيلاً؟! معاذ اللّه، وحاشاكم يا شباب الإسلام.

صور خمس للتدين:

النوع الأول:

سنستعرض القصة من خلال سورة نوح لنلمس منها مستويات خمسة للتدين بين الناس.

النوع الأول: صنف قد يقرأ كتاباً في الدين أو يسمع درساً في مسجد أو من شريط، إلا أنه لا يعبأ بشيء مما سمع كأنه لم يسمعه، لا يتأثر ولا يريد أن يتغير، ولا يرغب في الإقبال على الله.

النوع الثاني:

صنف يصلي ويصوم ويجتنب الكبائر، ولا يهتم بزيادة القرب من الله والمحبة بالنوافل. ويقنع بما هو عليه، ويكتفي به.

النوع الثالث:

شباب يريد القرب من الله أكثر ويريد الزيادة من الطاعات، ولكنه في بداية الطريق.

النوع الرابع:

شاب يريد التدين والقرب من الله ويريد مثل ذلك لأصحابه معه.

النوع الخامس:

شاب يعيش للإسلام، يمسي ويصبح وهمّه رضا الله والجنة... وهذا الصنف قليل عزيز... ونستعرض سورة نوح لنعزم على أن نكون من النوع الخامس الذي يحيا لقضايا دينه وهدفه ربه.

يفرح للإسلام ويحزن لما يصيب الإسلام والمسلمين يصلح الفساد وينفع غيره ويخالق الناس بخلق حسن، غُدُوه ورواحه لا يتعدّى هذا الميدان الذي وقف عليه حياته وإرادته.

دين واحد

يقول تبارك وتعالى: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرۡ قَوۡمَكَ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ۝١ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ﴾ [نوح: 1، 2] فاستخدم سيدنا نوح من الآية الثانية نفس ما أمره به ربه ﴿أَنۡ أَنذِرۡ﴾ ﴿إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ﴾. وفي الآية الثالثة: ﴿أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ۝٣ يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُؤَخِّرۡكُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُۖ لَوۡ كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۝٤﴾

[نوح: 3-4] وهي نفس الكلمات التي دعا بها سيدنا محمد ﷺ قومه، فالدعوة واحدة، والدين واحد.

24 ساعة دعوة إلى الله

وبعد ذلك تطوي الآيات القرون الطويلة لتريك سيدنا نوحاً وهو يقدم التقرير إلى الله بعد (950) دعوة وجهاد ومشقة: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا﴾ [نوح: 5].

يا رب لقد قمت بواجبي قدر استطاعتي، وواصلت الليل بالنهار، فلم تكن لي راحة.

ليتنا يا شباب نرتقي إلى الصنف الخامس من المتدينين، مثل سيدنا نوح هل فينا من يشتاق الى هذا؟ أم تتساوى الأحوال عندنا، والأول مثل الخامس، ولا ندري أين نضع بينهما؟

واستجيبت دعوتي

فماذا كان موقف قوم نوح من دعوته، يقول سيدنا نوح: ﴿فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا ۝٦ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ۝٧﴾ [نوح: 6، 7].

هل تتخيّل صعوبة أنك تأخذ بيد إنسان فيزداد نفوراً منك. حدث مثل هذا مع سيّدنا نوح (950) سنة، ولفظ (كلما) يفيد دأبه واستمراره في الدعوة وعدم اليأس كما يفيد بجوار ذلك استمرارهم في عنادهم وحربهم لدين الله في شخصه.

أدعو كل شاب أن يكون طاقة مثل طاقة سيّدنا نوح وعزيمة مثل عزيمته. فهذه أغلى نعمة وأحلى نعمة... أن تأخذ بيد الناس إلى الخير، أن تحب الهداية للناس، أن يحب قلبك دين ربك وتحبب الناس فيه.

وأنا طالب كنت أسمع آية أو كلمة طيبة للشيخ الشعراوي . فأقول في نفسي: الله... أتمنَّى لو يسمع كل الناس هذه الكلمة... وشاء الله تبارك وتعالى أن يسمع الناس هذه الجملة. واستجيبت دعوتي وبلّغت الناس...!!

الطفيل بن عمرو

كان الصحابة رضوان الله عليهم من النوع الخامس. ذهب يوماً الطفيل بن عمر والدوسي ـ وهو من اليمن ـ إلى النبي ﷺ فعرض عليه الإسلام فأسلم الطفيل وقال للنبي ﷺ: مُرْني يا رسول الله. فقال ﷺ: **«آمرك أن تعود إلى قومك فتدعوهم إلى الله»**.

فكم مكث الرجل مع النبي ﷺ؟ حوالي نصف ساعة، عرف فيها أركان الإسلام والإيمان وثواب الطاعة وعقاب المعصية، فذهب إلى قومه في اليمن وغاب عن النبي ﷺ (12) سنة... وقع فيها غزوةَ بدر، وأحد، والخندق، وصلح الحديبية، وغزوة خيبر. وبينما النبي عائد من خيبر وجد غباراً كثيفاً يسد الأفق. فقال النبي: «ما هذا؟» فقالوا: هذا الطفيل بن عمرو جاء ومعه قبيلة دَوْس كلها.

أرأيتم ثمرة الطاعة والإخلاص يا شباب، ليس المهم كثرة العلم وإن كان العلم مطلوباً، ولكن بلِّغوا ما تعرفون... والطفيل لم يمكث مع النبي ﷺ إلا بعض الوقت ولكنها ثمرة الصدق والإخلاص اللذين قذفا بالرجل إلى النوع الخامس، وكان قبلها بقليل دون النوع الأول.

الحياة الحقيقية

من يحب هذا يا شباب؟ من يقول: سآخذ بيد جيراني كلهم، أو أصحابي كلهم، سأبدأ معهم قدر استطاعتي... هذه أحلى غاية تعيش من أجلها، أما الطعام والشراب والزواج والإنجاب فالأصل أنها وسائل لتلك الغاية. أغلى شيء يشعرك بقيمتك وبحياتك أن تعيش وأنت تتمنى، أن يسمع كل واحد من الناس كلام الله.

همة المسلم

عندما وجد عبد الله بن مسعود قريشاً لا تريد سماع القرآن بعدما جهر النبي ﷺ بالإسلام ـ وهو نحيل ضعيف ـ عندما وجدهم كذلك قال: والله لأُسمعنَّهم القرآن. فأي أسدية في هذا القلب داخل هذا الجسد النحيف الضعيف، فصعد الكعبة ووقف وسطها وقال بأعلى صوته: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ۝٤...﴾[الرحمٰن: 1 ـ 4] فاجتمع الناس عليه وخلعوا النعال وظلُّوا يضربونه على رأسه فجاءه الصحابة وأخرجوه من بينهم، فنظر إليهم وهو متهالك وقال: والله لو شئتم لأعيدنَّها غداً. فأي طراز من الناس هذا...؟!

إياك والفهم الخطأ

فأين غيرتنا على ديننا؟!... وإياك أن تفهم كلامي خطأ فتذهب تتعارك مع الآخرين... وتغلق التلفاز في وجه أبويك... لا، فهذا عدم فَهْم... ولكن أقول لك أحب الناس وخذ بأيديهم إلى الخير بالحكمة والموعظة الحسنة. أقول لك: قَبِّل يدي أبويك... توسل إليهما ليصليان... ادع أصدقاءك إلى طعام وفي النهاية كلِّمهم عن الدين

برفق... ترفق بأصحابك وجيرانك حتى يسمعوا منك كلمة الله.

نعم، قد يكون في القلب غليان من أهل الإسلام، ولكن معه الشفقة على الناس وحب الخير لهم والتلطف معهم... ألا تحب أن تحشر مع الصحابة؟!

الإسلام يجري في دمي

أتعرفون يا شباب ماذا كان شعار الصحابة في أُحُد؟ كان «دينك دينك لحمك ودمك». هل تشعر فتيات الإسلام بهذا؟ هل دينكِ أختي المسلمة لحمكِ ودمك؟ لو حلَّلتم يا شباب عينة من دمائكم هل سنجدها تحت الميكروسكوب «إسلام»...؟!

أعظم مَهْر في التاريخ...!!

السيدة أم سُلَيْم مات زوجها فتقدم لها أبو طلحة ولم يزل مشركاً فرفضت، وقالت: إن رسول الله حرّم علينا أن نتزوج إلا بمسلم. قال لها: ولكني أرغب بك. قالت: وأنا لا أتزوجك من غير إسلام. فذهب وعاد إليها يطلبها، فقالت له: يا أبا طلحة، أليس صنمك الذي تسجد له ينحته فلان النحات؟ قال: نعم. قالت: أليس إذا اشتعلت فيه النار احترق؟ قال: نعم. قالت: عيب عليك وهذا عقلك أن تعبد هذا. فقال: أشهد أن لا إلٰه إلا الله وأن محمداً رسول الله. فقالت له: فهذا مهري، مهري إسلامك. فكانت أعظم امرأة مهراً في التاريخ. نعم، بداخلها حب لدينها وغيرة عليه.

تعلم من نوح

إن غيرتنا على ديننا أصبحت ضعيفة أو معدومة، وكأننا لا نشعر بسيّدنا نوح عندما ظل يدعو قومه (950) سنة صابراً محتسباً. ليت كل مسلم ينجح في حياته ويتفوق حتى يؤثر في الناس أكثر.

ليت كل مسلم داعٍ الى اللّه يعامل برفق ولين ويتحمل عنهم مثل سيّدنا نوح، ولا يمل من رجاء الهداية لهم، ويشتعل قلبه غيرة على حدود اللّه وأوامره.

جملة لها وقع السحر...!!

في إحدى المعارك بين المسلمين والفرس... ظهر فيها المسلمون على عدوهم بقيادة المثنى بن حارثة، إلا أن الفرس استطاعوا أن يتوغلوا في ميمنة المسلمين لوجود قبيلة بني بكر وكانت متخاذلة. الجيش المسلم منتصر لكن الميمنة ضعيفة فكتب المثنى بن حارثة ورقة صغيرة لبني بكر بها ثلاث كلمات فقط «من المثنى بن حارثة إلى بني بكر... لا تفضحوا

المسلمين» فانتصر الجيش انتصاراً تاماً وسبب تمام النصر هم بنو بكر... انقلبوا أسوداً بسبب كلمة: «لا تفضحوا المسلمين».

يا شباب، أخلاقنا أصبحت تفضح الإسلام والمسلمين سلوكياتنا تبعد الناس عن ديننا... رسوب الشباب المتدين في دراسته يفضح المسلمين... المصيبة التي تفعل كذا وكذا من الحرام تفضح المسلمين... أين حب الدين الذي يملأ القلوب...؟!

بالله عليكم لا تفضحوا المسلمين.

ماذا تفعل في هذا الموقف...؟!

سورة نوح كلها تريد تأكيد هذا المعنى... تقول لنا: حرام عليكم غيروا على دينكم. يقول سيدنا نوح: ﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ۝٧﴾ [نوح: 7] والإنسان يضع طرف إصبعه في أذنه... ولكنها المبالغة منهم في عدم إرادة سماعه فكأنهم يضعون الإصبع بكامله في الأذن. فعندها يدعوهم سيدنا بالإشارة فيغطون وجوههم بثيابهم، فلا يريدون السماع منه ولا رؤيته، إصراراً منهم على الكفر واستكباراً على الحق.

لو كان أحدنا في موقفه هذا لأصابه الملل بسرعة وظن أن الناس هالكون ولا فائدة معهم ولا رجاء فيهم، ولكن نبي الله نوحاً صبر على هذا عشرة قرون تقريباً، فهل نعي الدرس يا شباب؟

إنما الصبر بالتصبر...

هل شعرت بنبي الله نوح وهو يقول: يا رب، لقد قمت بما أستطيع من جهد (950) سنة... فيا من لا تستطيع مقاومة المعصية اصبر... قاوم الفتن حتى تتزوج... ولا تعلل ضعفك بكثرة الفتن حولك، فقد صبر نبي الله نوح (950) سنة... وأعمار هذه الأمة (60، 70) سنة وتنتهي الدنيا بالنسبة لمن انتهى أجله هذا.

من عاش (50) عاماً أو(40) عاماً اصبر... اصبروا يا شباب... لو كانت أعمارنا طويلة كالسابقين لأصبحت ذنوبنا لا تطاق... فالحمد لله على قصر الأعمار... نريد الخروج من الدنيا على خير... نريد الراحة. اصبروا وادخلوا الجنة.

أين نصيب دينك من وقتك...؟!

ولا يعني هذا أن نزهد في الدنيا ونتركها... ولكن نزهد فيها ونحن نمسكها ونملكها في يدنا، لا في قلوبنا، نملكها لنجعلها موصولة بالله.

يقول سيدنا نوح: ﴿ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ۝٨ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ۝٩﴾ عمل متواصل طوال الليل والنهار وبكل وسيلة... يصلح لهذا السر وتصلح لهذا العلانية... جهاد دؤوب.

يا شباب، بعضنا يجلس أمام التلفاز ساعات طويلة... بعضنا لا يترك مباراة إلا ويشاهدها... بعضنا في الخامسة والعشرين ويمسك مجلات ميكي لا يفوته منها عدد... بعض الفتيات تسأل عن آخر صيحة في المكياج.

فأين وقت الدين وسط هذا كله...؟! ان من يقتل وقته انما يقتل نفسه، والحياة بالإسلام حياة مضاعفة الأجر والبركة... فما تعطونه لدينكم من وقت واهتمام انما هو ذخر لكم عند ربكم ﴿وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم﴾ [محمد: 38].

أنفاسك هي رأس مالك

يا شباب، ساعات عمركم هي خزائنكم فاملؤوها بالخير. الواحد منا يومه (24) ساعة ينام منها (8) ساعات، ويقضي حاجاته في (8) ساعات منها. فأنت 1/ 3 عمرك نائم، و1/ 3 عمرك تقضي فيه حاجاتك، ويتبقى لك 1/ 3 فحرام أن يضيع من غير فائدة... واتق الله في هذه الأنفاس فهي رأس المال الذي لا يعود إليك ما يضيع منه أبداً... استغلّوا الصيف في تعلُّم القرآن والإقبال على الله.

هل سنغير أنفسنا؟... هل سنغار على ديننا؟ وهل نتمنى أن نكون متدينين مثل سيدنا نوح، نبلّغ رسالة ربنا، ونؤدي عن نبينا... ان تصدقوا الله يصدقكم.

الطوفان

ما لنا أفضل كثيراً...!

ظلَّ نبي الله نوح يدعو قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً... في عمل وجهاد متواصل وتحمل الأذى... فمن منكم يا شباب بدأ يأخذ بيد أصحابه... قد تبرد همة الإنسان بعد أسبوع، وسيدنا نوح ظل يعمل ليل نهار لمدة (950) سنة. نعم، ودين الله يستحق العمل له لمدة عشرة قرون.

هل يصعب علينا العمل لدين الله وعُمْر الواحد منا مثلاً (40) سنة أو أقل أو أكثر. هل نجد شاباً (25) سنة يقول لا فائدة في الناس ولا خير فيهم... وسيدنا نوح ظل يدعو ألف سنة ملؤها الضرب، والسخرية، والاستهزاء، والتهديد، واتهام بالجنون، والواحد منا يغضب لو قال له أحد: «هل أصبحت شيخاً» فيترك الدعوة وينساها في بداية الطريق.

سيدنا نوح صبر... تمر الأجيال وتعقبها الأجيال يتوارثون الكفر والعناد والاستهزاء. واليوم يا شباب وضع الناس يختلف وفيهم الخير الكثير، لكنهم يحتاجون إلى الحب والرفق واللين في المعاملة، والنصيحة في أدب... الناس يحتاجون من يحببهم في الدين ويفتح لهم باب الأمل.

هيا نعلّم الناس انه في جنب الله لا تنقطع عواطف الرجاء... عندها، سوف يصبي الأمل نفوسهم، ويشحذ عزائمهم، وعند ذلك سيصلون عبء الإسلام معك... ولك مثل أجرهم.

المسلم لا يستسلم...!

يقول تبارك وتعالى على لسان نبي الله نوح: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ۝٥﴾ [نوح: 5] ويبدأ سيدنا نوح في عرض كشف الحساب بعد (950) سنة. يتبرأ من التقصير في دعوتهم... تُرى... لو وقفنا أمام الله يوم القيامة، هل نعتذر إليه سبحانه من عدم التقصير في الأخذ بيد الناس؟ أم نعتذر من التقصير؟ سيدنا نوح كان يصل الليل بالنهار، فمن استيقظ ليلاً دعاه ومن رآه نهاراً دعاه... كان لا يهدأ ولا ينام، كأن هم إسلامه أنساه راحته،

وبعضنا يشكو: أصحابي لا يسمعونني، جيراني مشغولون.

يقول نبي الله نوح: ﴿فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارًا ۝٦﴾ [نوح: 6] ومع ذلك لا استسلام أبداً، فليس الاستسلام من شيم المسلم. لقد زادوا على الفرار أشياء، تعامل معها سيدنا نوح بمختلف الوسائل في الدعوة.

يقول: ﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْاْ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّواْ وَٱسْتَكْبَرُواْ ٱسْتِكْبَارًا ۝٧﴾ [نوح: 7]. وكلمة «كلما» تدل على التكرار... تكرار عادة القوم والاستمرار عليها، وكانت عادتهم التي توارثتها الأجيال هي التكذيب والعناد والتكبر والإصرار على هذا كله. كما تدل «كلما» على تكرار عادة سيدنا نوح وصبره عليها، وكانت عادته الاستمرار في الدعوة وابتداع الأساليب.

فهم لا يريدون سماعه فيضعون أصابعهم في آذانهم، فعند ذلك يدعوهم بالإشارة، فيضعون ثيابهم على وجوههم حتى لا يروه... فيكلم هذا على انفراد... ويتكلم مع هؤلاء بين الناس.

هل لمحتم يا شباب نهج سيدنا نوح في دعوته من خلال كل تلك الأساليب... كان أسلوبه الرفق واللين... مع كل ما لاقاه من ايذاء... فلم يحيدوا منه الا الهناج المفروض، فلا ينهر أحداً ولا يزجره ولا يتوعدهم جهنم... وانما قال: ﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ﴾ [نوح: 7] فهو يدعوهم الى المغفرة، الى الرحمة، ولم يغير هذا النهج في كل أساليب دعوته، مع أنهم تفننوا في طرق الإعراض عنه. ان حب نوح لدينه وربه قد فاق حب قومه لكفرهم، وصدق رب العزة: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: 165].

قلب يحب الإسلام

هل يستطيع واحد منكم يا شباب أن يقضي عمره (60) أو (40) سنة... وهو يأخذ بيد الناس إلى الله... وتظل هذه القضية هي قضية حياته.

لأحد الصحابة ـ وهو البراء بن مالك، أخو أنس بن مالك ـ كلمة جميلة تدل على عميق حبه للإسلام... فهو عزم على أن يعيش للإسلام طول حياته. قال: «لأموتن والإسلام عزيز».

فهل نصب العزة والكرامة لديننا يا شباب. ان أول وأهم درس نضرج به من آيات سورة نوح هو (واحفظوه يا شباب): أهمية الدعوة الى الله.

الدعوة إلى الله

قد يقول البعض: كيف أقلد سيدنا نوحاً؟ إن الدعوة بالنسبة إلي ليست سهلة فكيف أفعل مثله؟... لا يا شباب، الدعوة إلى الله سهلة جداً، معناها أن تأخذ بيد أصحابك وأهلك وأقاربك لكي يتقربوا إلى الله، ولو خطوة واحدة... هذه هي الدعوة إلى الله بكل يُسْر وبساطة.

وقد يقول البعض ليس عندي العلم الكافي للدعوة إلى الله. فيرد عليه قول النبي ﷺ: **«بلغوا عني ولو آية»**[1] فإذا لم تعرف في الإسلام إلا شيئاً واحداً من الخير فادعوا الناس إليه. إنك تعرف أن فلاناً من أصحابك أو من أهلك لا يصلي... إن قمت بدعوتهم للصلاة فأنت تسير في طريق نوح، وإلا فأنت بعيد عن طريقه.

يقول الإمام أحمد بن حنبل: «من علم بمسألة فهو عالم بها». فإذا علمت أهمية الصلاة وثواب المصلي وعقوبة تاركها فبلِّغْ هذه الآية.

وأنتِ تعرفين أن هناك جنة وناراً وأن الله يحب عباده الطائعين ويفرح بتوبة العاصين... حدثي صديقاتك عن رحمة ربنا... هذا هو طريق الدعوة إلى الله.

أحسن العمل هو عمل الصالحات... وأحسن الكلام هو دعوة الناس اليه... وأحسن الناس وأقربهم الى الله من يعمل الصالح ويدعو اليه ويفتخر بإسلامه ويعلن عظمته للناس ويصحح افهامهم. ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾.

واحد من اثنين...!

قد يقول البعض لا أستطيع الدعوة إلى الله؛ لأن إيماني قليل... وقال العلماء لمثل هذا: لا يقولن أحدكم لا أدعو إلى الله حتى يكتمل إيماني. وذلك يا شباب أن القائل بهذا أمامه أمر من اثنين: إما أنه لا يكتمل إيمانه حتى يموت ويفوته أجر العمل لدين الله. وإما أن يأتي يوم يقول فيه: قد اكتمل إيماني. فإذا قال هذا فاعلموا أنه قد ضَلّ وأصابه الغرور... وهما أمران أحلاهما مُرّ.

فلم يبق أمامنا يا شباب الا أن نصلح انفسنا وفي نفس الوقت ندعو غيرنا،

---

(1) تقدم تخريجه سابقاً.

وطريق الدعوة تنهى عن الإثم وتكفر السيئات وترضي الرب وتطرد الداء عن الجسد.

أفضل وسيلة للعلاج...!!

وقد يقول البعض لا أستطيع الدعوة إلى الله لكثرة ذنوبي... والوسيلة الوحيدة يا شباب للتخلص من الذنب هو الدعوة إلى الله... كلما ارتقيت بالناس كلما ارتقيت بنفسك. إذا نصحت صاحباً لك بغضّ البصر... تجد نفسك من داخلك تخجل من هذا الذنب أن تقع فيه. إذا نصحت جاراً أو صديقاً بصلاة الفجر تستحي من داخلك أن يذهب إلى المسجد فلا يجدك.

فإذا قمنا بالدعوة إلى الله تنتهي مشكلة الذنوب؟ نعم... وليس هناك وسيلة ترتقي بالإنسان مسافات بعيدة إلا الأخذ بيد الآخرين... فيفتح لك الله من أبواب القرب ما لا يفتح لك لو عبدته وحدك من غير دعوة سنوات طويلة.

ولهذا كان الأنبياء والمرسلون هم صفوة الخلق وأقربهم الى اللّه، وكذلك يكون السائرون على دربهم... ولهذا المعنى كان سيدنا موسى أفضل من الخَضِر عند اللّه وكان سيّدنا سليمان أفضل عند اللّه من الذي عنده علم من الكتاب مع أن الخَضِر والذي عنده علم من الكتاب صالحان عابدان ولكن أنبياء اللّه آدم ونوحاً وموسى وغيرهم حتى رسول اللّه ﷺ صالحون مصلحون... وفرق كبير بين الصالح الذي يدق على باب الجنة والمصلح الذي يدق على أبواب القلوب ويتحمل ما وراءها من صَدٍّ وتكذيب طاعة للّه وطلباً لرضاه. وأمر اللّه رسوله أن يقول: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [يوسف: 108].

لا تنس نفسك...

قد يتعذر البعض بقول الله ﷻ: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾[البقرة: 44] فيقول: عندي ذنوب ولا أستطيع الدعوة إلى الله معها.

والإنكار في الآية ليس بسبب الدعوة إلى البر مع وجود الذنب، ولكنه بسبب الدعوة إليه مع نسيان النفس... فلا تنس نفسك ارتق بالناس وأنت تنوي الارتقاء بنفسك... وعندها يرتقي بك ربك.

يا شباب، ان مسالة الدعوة الى اللّه تحتاج الى حب للدين، الى حب الخير لكل الناس... ووجود هذا الحب في القلب يضع صاحبه في طريق سيّدنا نوح والأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

ابو هريرة وأمه

كان أبو هريرة شديد الوجد على أمه؛ لأنها كانت غير مسلمة... وكلما دعاها إلى الإسلام رفضت وأهانته... مَنْ منا يحترق قلبه لأن أخته غير محجبة أو لا تصلي. انظر صدق إحساس أبي هريرة... ذهب إلى النبي ﷺ يشكو إليه: يا رسول الله، أمي كلما دعوتها إلى الإسلام أسمعتني عنك كلاماً مُشيناً، فادع الله يا رسول الله أن يهدي أمي... فلما وجد النبي ﷺ صدق لهجة أبي هريرة وحبه لإسلام أمه رفع يديه وقال: **«اللهم اهدِ أم أبي هريرة»**[1] يقول: فانطلقت إلى البيت وطرقت الباب على أمي، فقالت: يا أبا هريرة، مكانك. فقلت: ستشتمني وتسمعني ما لا أحب. فخرجت إليّ وقالت: أشهد ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.

هذا الإيمان جاء ثمرة لصدق الجهد والسعي وحرارة العاطفة والحب للّه ولدينه فكوني، أبو هريرة بهذا... هل تدعو أخاك أو أختك أو أبويك مرة أو مرتين فلا تجد استجابة فتستسلم للفشل... اجلس وناج ربك وقل له: يا رب، اهدِ أخي... اهدِ أختي... اهدِ أبويّ، وسيشرح اللّه صدورهم، وبقر عينك... ويسعد قلوبكم ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾ [العنكبوت: 69].

حدث بالفعل...!!

أذكر لكم يا شباب موقفاً غريباً... أعرف شاباً يحب صديقاً له جداً جداً، إلا أن هذا الصديق بعيد عن طاعة الله... يرتكب الذنوب والمعاصي، وهو يحبه ويتمنى له الهداية. قال لي هذا الشاب: ذهبت لأداء عمرة لأدعو لصديقي هذا خاصة.

وهناك ظللت ألصق جسدي بباب الملتزم وظللت ألح في الدعاء لصديقي بالهداية، يقسم لي هذا الشاب أنه بعد أسبوعين من أداء العمرة وجد صديقه يتردد إلى المسجد. ويواظب على الصلاة... ويحفظ من القرآن حتى وصل إلى خمسة أجزاء وانتهى تماماً عما كان يفعل من الذنوب والمعاصي.

---

(1) أخرجه مسلم في (الحديث: 6346).

نعم، لو صدق الإحساس في الدعاء لأمدنا الله بالعون... أرأيتم رجلاً يسافر سفراً يقطع فيه المسافات وينفق فيه من الأموال، ويفارق الأهل... كل ذلك من أجل دعوة لصديق له بظهر الغيب.

يا شباب، ديننا يحتاج منا الى مثل هذا الحب، والدعوة الى الله تحتاج الى مثل هذا الاهتمام... وهذه المعاني نتعلمها من سيرة نبي الله نوح. فهيا الى العمل يا شباب

وظيفة الأنبياء...

يقول تبارك وتعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾. فخير الناس هو الذي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وهذا من مستلزمات الإيمان بالله.

يقول رسول الله ﷺ: «**الدين النصيحة**»، قلنا: لمن؟ قال: «**لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم**»[1] رواه مسلم. قمة الدين النصيحة... ويقول ﷺ: «**لتأمرُن بالمعروف ولتنهونَّ عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً، ثم تدعونه فلا يُستجاب لكم**». فهذا الكلام يجعلك تعزم على الأخذ بيد جيرانك في العمارة أو أصحابك وأقاربك. ولكن تعرَّف عليهم وتودد إليهم أولاً... تودد إلى أختك قبل أن تطلب منها الحجاب... تودد إلى أبيك وأمك قبل نصحهما.

لو دعوت ربك ولم تجد إجابة فاعلم أن ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أسباب المنع... والاستجابة بحب الخير للناس وبذل الجهد للأخذ بيدهم إلى طاعة الله مع الترفق بهم والتلطف والأدب في الحديث معهم... فمن رحمته بك أن يجعلك سبباً في هداية الناس؛ لأنها وظيفة الأنبياء.

ان الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم أفضل عند الله من الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم... وقد قال ﷺ: «يحشر المرء مع من أحب» ألا تحب أن تحشر مع الأنبياء؟ أحبهم واسلك سبيلهم تحشر معهم يوم القيامة ومع حبيبك المصطفى عليه الصلاة والسلام.

---

(1) أخرجه مسلم في (الحديث: 194).

السعادة البالغة...

إن للدعوة إلى الله سعادة وحلاوة في القلب لها العجب. يقول أحد التابعين: كلما أخذت بيد إنسان فاستجاب لي شبعت نفسي وارتوت، وأصبحت بغير حاجة إلى مأكل أو مشرب.

تخيَّل أنك دعوت شاباً إلى درس علم أو إلى صلاة في المسجد فاستجاب لك وتأثر بما سمع ورأى... كيف تكون فرحتك؟ وما حجم سعادتك؟... تخيلي أنك علّمتِ صاحبةً لك الصلاة وتلاوة القرآن وبدأت تحفظ منه عدة أجزاء... عندها ستشعرين بفرح كبير؛ لأنها تقربت لله خطوات على يديكِ.

إن هذا الشعور الغامر بالسرور لهداية الآخرين هو دليل الإيمان. وإذا كان هناك إنسان لا يهمه الهداية أو عدم الهداية للآخرين فهذا إيمانه ضعيف.

ولو صدق حب الله في قلب عبد لكان هذا الحب دليلاً له الى الخير، الى قلوب الآخرين... لأنهم سيسمعون منه كلمات يتدفق منها العشق للدين والحب لصاحب الدين... والرغبة الصادقة في جلب الخير لهم... وما خرج من القلب ذهب الى القلب. وما خرج من اللسان لا يتجاوز الآذان.

وأي ثواب هذا...!!

يقول رسول الله ﷺ: **«لأَنْ يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حُمْر النَّعَم»**[1].

وفي حديث آخر: **«لأَنْ يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من الدنيا وما فيها»**.

هيا يا شباب جربوا... ابدأ بزوجتك وأولادك... ابدأ بالجيران والعائلة... استغل كل تجمع للعائلة على طعام أو غيره وأسمعهم كلاماً في الدين... هيا قلدوا سيدنا نوحاً...

لكن حذار يا شباب من سوء التصرف وتنفير الناس من الإسلام بسبب تعنيفهم والتشدد عليهم، سيدنا نوح يقول: ﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ﴾[نوح: 7] هذا هو منطق الكلام ومنهج الدعوة... الرفق واللين وفتح باب الأمل في رحمة الله ومغفرته.

إذا أردت الحياة خالية من المنغِّصات... اجعل قلبك ورأسك دائماً مشغولان بوسائل

---

(1) أخرجه **البخاري** في (الحديث: 2942)، وأخرجه **مسلم** في (الحديث: 6173)، وأخرجه الإمام **أحمد** في «مسنده» (الحديث: 5/ 333).

هداية الآخرين... تجلس تفكر... كيف أدعو صديقي أو جاري... تدعو له ليلاً أن يهديه الله على يديك واستشعر أنك خليفة الله في أرضه... تخيَّل أنك إذا هديت إنساناً بأمر الله أصبحت حسناته كلها في ميزانك... وإذا علمت إنساناً أن يكون داعياً إلى الله أصبحت حسناته وحسنات من هداهم الله على يديك في ميزانك أيضاً... فكيف لو هدى الله على يديك أكثر من واحد.

إذا كان أجر رجل واحد تأخذ بيديه إلى اللّه خيراً من الدنيا وما فيها... وقد يموت الداعي وينقطع عمله إلا من مثل هذا الخير... لأنه ترك في الناس علماً ينتفع به... ترك الدنيا وأثره باقٍ... وغيره يموت وكأنهم لم يكونوا... لن تضحك الآخرة لمن لم تبكِ الدنيا عليه.

لطيفة

كل حسنات أهل مصر في ميزان سيدنا عمرو بن العاص فاتح مصر... حسنات الصلاة وبقية العبادات وكل خير يبذلونه في ميزانه.. هل تستطيع أن تتخيل الأجر؟ صعب. فلماذا يكون في ميزانك عملك وحدك؟ لماذا لا تضع فيه حسنات بعض الآخرين. هيا يا شباب... اصنعوا لأنفسكم مستقبلاً عند الله.

الترغيب قبل الترهيب

قد يقول البعض سوف أدعو إلى الله، ولكن ماذا أقول؟ هيا نتعلم من سيدنا نوح ماذا نقول وكيف ندعو إلى الله.

قال: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾ [نوح: 10] فأول شيء ركّز عليه المغفرة، على الترغيب قبل الترهيب... الترغيب في الرحمة... فلا يليق أن يدعو شاب إلى الله فيقول للناس: إنكم في جهنم... ويظن أن الشدة والعنف في تعليم الخير نوع من الغيرة على الدين. وهذا قمة الخطأ في فهم الإسلام، ومثله الخطيب الذي يقف على المنبر ويشعر الناس أنهم هالكون ولا فائدة منهم.

تعلموا يا شباب من سيدنا نوح، افتحوا للناس باب الرحمة والأمل... وإلا كيف نجذب إنساناً إلى الله وقد أغلقنا دونه الأبواب.

وكل انسان بداخله الخير كامناً ولكنه يحتاج يداً حانية تزيل الغبار الذي غطى فطرة اللّه. فإذا أحبك انسان لسلوكك معه، واحب ربه لرحمته الواسعة سيستجيب

الى السير في طريقه وربما يسبقك ولك الأجر مهما سبقك؛ لأن الله جعلك أساساً لهذا السبق.

مدخل خاطىء...!!

كنت واقفاً مع اثنين من الشباب نتحدث في الدين، وكان أحدهما لا يصلي ويرتكب المعاصي، وكان بجوارنا مدينة الملاهي والناس يصرخون فيها لهواً ولعباً كما تعرفون. فقال الثاني للذي لا يصلي: أتعرف بم يذكرني هذا الصراخ! قال له: بماذا؟ قال له بصراخ أهل النار. فاحمرّ وجه الشاب، وقال له بكل براءة: أنا ألعب هنا كل يوم. فقال: إذن تذكر صراخ أهل النار كلما أتيت إلى هنا.

وهذا لا يكون مدخلاً للحديث مع إنسان في الدين... قال الله ﷻ لمن هو خير من هذا الداعي وهو سيدنا موسى، أمره الله أن يقول لمن هو شر عند الله من الشاب الذي لا يصلي وهو فرعون، أمره الله أن يقول لفرعون كلاماً رقيقاً هادئاً لعل قلبه يستجيب. يقول تبارك وتعالى: ﴿اذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [طه: 43، 44].

انتبهوا يا شباب... قد سبق في علم الله أن فرعون لن يهتدي ولن يستجيب. ولكن هذا الأمر من الله ليتعلم سيدنا موسى ونتعلم نحن كيف تكون دعوة الآخرين الى الله... صاحب الدين وهو أغير عليه منا قد أمرنا بهذا.

المنهج الصحيح

ذهب رجل إلى هارون الرشيد فاشتد عليه في النصح، فقال له هارون: أما أنا فلست أسوأ من فرعون، وأما أنت فلست أفضل من موسى، وإن الله قال لموسى: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا﴾ فهلا كلمتني بالحسنى.

إن الإسلام يا شباب هو دين الحب وتقريب القلوب. لك أبوان بعيدان عن طاعة الله ثم تقسو عليهما في النصح، ليس هذا من الإسلام، لك أخت غير محجبة وتُسْمعها يومياً ما تكره، ليس هذا من الإسلام... أفضل من ذلك أن تجلس معها وتحدثها في الطاعات والعبادات حتى تحب أداءها واحدة واحدة... بعد ذلك سترتدي هي الحجاب من نفسها، اجلس وادع الله لها أن يهديها... اشتر لها هدية. هذا هو المنهج الصحيح في الدعوة إلى الله، وليس في الإسلام إكراه بالعنف والشدة.

أبو حنيفة خير مثال...

كان للإمام أبي حنيفة جار سكّير، وفي كل ليلة إذا أقام الإمام لقيام الليل سمع الرجل يقول: أضاعوني وأي فتًى أضاعوا... ويظل يرددها مع الشراب، وتبدأ الهلوسة كلما دارت الخمر برأسه... ويبدو أنه كان يعاني من مشكلة عائلية... ويستمر إزعاجه للإمام بصوته... حتى جاءت الشرطة في يوم وقبضت عليه واستعد الإمام لقيام الليل فلم يسمع صوت الفتى، فسأل عليه وعلم أن الشرطة قبضت عليه، فذهب الإمام إلى الشرطة وطلب منهم الإفراج عنه على ضمانته فأخرجه الإمام وأركبه معه دابته ولم يتحدث معه الإمام في شيء... حتى وصل به إلى منزله، وقال له: هل أضعناك يا فتى؟ فقال له: لا والله ما أضعتني، ووالله لن أشرب الخمر بعد اليوم.

تعلموا يا شباب... لماذا لم ينصحه الإمام من قبل؟ لأنه ينتظر الوقت المناسب للحديث معه، فكل إنسان تمر به لحظات يكون فيها أقرب ما يكون للاستجابة للنصح... كل إنسان له محطة، ومن الخير أن يجد الداعي ينتظره عندها فيكون أول من يأخذ بيده.

ولماذا لم يحدثه طوال الطريق؟ لأنه ترك الموقف يفعل فعله في قلب الفتى حتى يتم الخير الذي بذله إليه إلى آخره بتوصيله إلى بيته... وعند ذلك وصل النصح وتحقق المراد.

حلاوة الاستغفار

ثم بدأ سيدنا نوح يحدثهم عن حلاوة الاستغفار: ﴿يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾﴾[نوح: 11، 12] وكأنه يقدم لهم الحلول لجميع مشكلاتهم الاجتماعية والاقتصادية بعدما فتح لهم باب الرحمة والطمع في المغفرة وإظهار ثمار الاستغفار في الحياة.

فيا من تشكو الفقر عليك بالاستغفار... ويا من تشكون الحرمان من الولد عليك بالاستغفار... ويا من تشكو الجفاف عليك بالاستغفار... يا من تطمعون في الجنة يوم القيامة عليكم بالاستغفار.

هذا كلام الله يا شباب. وبالطبع أنتم تصدقونه. فهيّا اعملوا به تهدوا ثمرته فقد قال ﷺ: «من لزم الاستغفار جعل الله له من كل ضيق فرجاً، ومن كل هم مخرجاً، ورزقه من حيث لا يحتسب»[1].

---

(1) أخرجه **أبو داود** في (الحديث: 1518)، وأخرجه **ابن ماجه** في (الحديث: 3891).

هل لديك أزمة مالية...؟

جاء رجل إلى الإمام الشافعي فقال: يا إمام، عليّ ديون، فقال له: استغفر الله. ثم جاءه آخر قال له: زوجتي لا تلد، فقال له: استغفر الله. فجاءه ثالث، فقال له: عليّ ذنب. فقال له: استغفر الله... فقالوا له: يا إمام أما عندك غيرها؟ فقال لهم: يقول تبارك وتعالى: ﴿يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا﴾ [نوح: 11، 12].

يا شباب ضعوا القانون الرباني بين أعينكم... المشكلات المادية، الديون، الذنوب، البنون، كل هذا علاجه الاستغفار... وثقوا يا شباب في كلام ربنا.. لقد وثق فيه سيدنا نوح منذ ألف سنة.

أبو بكر وعمر

يقول تبارك وتعالى: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾﴾ [نوح: 14] هل بدأت تشعر بقلب سيدنا نوح وهو يحترق على قومه... هل أحسست بغيرته على إسلامه.

انظر إلى سيدنا أبي بكر وهمه بالدين يقول: ما نمت فحلمت، ـ وذلك لأن رأسه مشغول بقضايا الإسلام ـ ويقول: ولا سهوت فغفلت، وإنني على الطريق ما زغت.

ويقول سيِّدنا عمر: متى أنام، إن نمت ليلاً أضعت حق ربي، وإن نمت نهاراً أضعت حق الرعية... ومنا يا شباب من ينام (12) ساعة وقد لا يكفيه... نتمنى يا شباب أن يكون بداخلنا مثل هذه الحرقة على دين ربنا.

سيِّدنا نوح بدأ يهز قومه... ويبعث في نفوسهم أسباب تعظيمه واحترام دينه، فهو الذي خلقهم من عدم ورزقهم من الطيبات. فكيف تكون هذه المكافأة؟ هل تكون بالإعراض عن دينه والتكذيب بوحيه.

ونحن يا شباب... خلقنا ربنا ورزقنا نعمة الإسلام من غير طلب منا أو سؤال، فهل يليق أن نستهين بنعمة ربنا علينا ونفرط في تعاليمه ولا نعيش بها بين الناس، ولا نصبب الناس فيها... خلقنا ربنا وما غفل عنا طرفة عين، فهل نكافىء هذا بالغفلة عنه وبرود العاطفة تجاه دينه؟ وعدم الدعوة اليه سبحانه؟ وترك ارشاد العباد الى طريقه؟ ما لنا يا شباب...؟! أين الوقار للّه...؟!

حال آخر

يا شباب... مَنْ يمشون يسبُّون دين الله في الشارع علانية... ما لكم لا ترجون لله وقاراً؟! البنت التي ترتدي الملابس الضيقة ما لكِ لا ترجين لله وقاراً؟! الشباب الذي لا يصلي... هل يُعقل ألا نعظم ربنا؟! ألا نسجد له؟!

أعرف شاباً قال: لا يوجد معصية إلا وفعلتها مئات المرات!! ما شعرت بندم أو بتأنيب الضمير حتى تبت إلى الله. والآن لو أصبت ذنباً صغيراً أعض على شفتيّ وأتصاغر من الحياء لاطلاع الله عليّ.

يا شباب... ألم تهزنا جملة سيدنا نوح: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾﴾.

وسيلة أساسية في الدعوة إلى الله...

يقول تبارك وتعالى: ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾﴾ [نوح: 14 - 17]، والآيات تركز على قيمة المغفرة والاستغفار وتوقير الله في القلب... ولا نخرج عن هذه القيم عندما تتحدث الآيات عن التفكر في خلق الله.

انظر كيف خلقك... كيف ربّاك بعد أن كنت جنيناً فصرت رجلاً عاقلاً... هل فكّرت في المراحل التي يمر بها عمرك من بداية النشأة حتى الميلاد حتى الآن... إنه صنع الله. يقول النبي ﷺ: «**تفكر ساعة خير من عبادة سنة**»[1]. والكون أكبر باب للتعرف على الله.

تفكّر وقل: هل الجنين نشأ في الرحم تحت إشراف الأم ورعايتها؟ أم بأمر الله ورعايته؟... أفضل الوسائل الناجحة في الدعوة إلى الله هي جذب الأنظار إلى بديع خلقه... أمواج البحر تسبّح بحمد الله... هزيم الرعد تسبيح بحمد الله... انظر إلى الشمس عند الشروق أو الغروب، وقل: من الخالق؟! سبحان من أبدع هذا الكون... أفضل الوسائل للقرب من الله التفكر في خلقه... أكثرنا أهمل هذه العبادة... كلنا يؤمن بقدرة الله نظرياً.. ولكن التفكر في خلقه يفتح آفاقاً من معرفته تجعل القلب يوقن بها ويشعر بحلاوة احساسها... هيا يا شباب، ننتعش بهذه العبادة ونأخذ بأيدي الآخرين إليها.

---

(1) ذكره القرطبي في «تفسيره» (4/ 314).

نقاط أساسية

يقول تبارك وتعالى: ﴿ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ۝١٨ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا ۝١٩ لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا﴾ [نوح: 18 ـ 20] ويبدأ سيدنا نوح في التركيز على قضية البعث ويوم القيامة... ذكروا الناس بهذه الحقيقة يا شباب.. قولوا لهم: ماذا ستقولون لله؟ وحاسبوا بها أنفسكم يا شباب: ماذا سنقول لله إذا سألنا عن دينه وتبليغ دعوته. ولكن سيدنا نوح سلك هذا الدرب بعد الترغيب بالرحمة والمغفرة وبعد التفكر في نعمه... وذكرهم بهذه الحقيقة أثناء الحديث عن نعم الله... كيف مدّ الأرض وبسطها لحياتنا عليها، وجعل لنا فيها الطرق لقضاء مصالحنا. فما تخرجه من رزق هو محض فضل الله، وليس لأحد فيه دَخْل أو إرادة.

ومع كل وسيلة سلكها سيدنا نوح لم يعنف قومه بكلمة... ومع كل ما لاقاه منهم ما تغيّر قلبه عليهم... هل من المعقول يا شباب أن يكون لنا قلب كهذا، يحب الناس ويرجو الخير وكلما ازدادوا نفوراً ازداد هو شفقة عليهم... ان صاحب الدين وواهب النعم يصبر على الناس ويمهلهم ويمهلهم، ولا يقطع رزقه عنهم بمعصيتهم... فكيف نقطع نحن رجاء الله في الناس؟! وكيف نضيق بهم؟! ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى ۝١٣٢﴾.

كيف تدعو إلى الله..؟

من خلال استعراض آيات دعوة سيدنا نوح لقومه نستطيع الخروج بنقاط هي كيفية الدعوة إلى الله:

1 ـ حب الدين واشتعال القلب بالغيرة عليه. ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ۝٥﴾... ﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ۝٧﴾.

2 ـ التلطف مع الناس والرحمة بهم وعدم تعنيفهم. ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠﴾.

3 ـ تنويع أساليب الدعوة. مرة حفلة، ومرة جلسة لطيفة، ومرة شريط، ومرة حضور درس، ومرة تفكّر في خلق الله. ﴿ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ۝٨ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ۝٩﴾.

4 ـ التركيز على التفكر في خلق الله والنظر في الكون. ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾﴾.

5 ـ التذكير بالموت والعرض والحساب يوم القيامة. ﴿ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾﴾.

6 ـ التذكير بنعم الله عليهم... فذكر النعمة يبعث على شكرها ويرقق القلب بتعظيم واهبها. ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾﴾.

هذه النقاط تجعل التأثير في الناس مرجواً بأمر اللّه، مع اخلاص القصد والنية للّه سبحانه وتعالى. اياك أن تتعالى بطاعتك على العاصي... أو أن تجرح الغافل بعبادتك... فكل الناس بعمل، والقبول العلم به عند اللّه وحده.

إن أنت إلا نذير

فما كانت النتيجة بعد هذا الجهد الذي قام به نبي الله نوح: ﴿قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾﴾ ولم يؤمن إلا (80) فرداً على أحسن تقدير التفاسير... بمعدل فرد واحد كل (12) سنة.

وكأن الله يريد أن يقول لك: عليك أن تدعو وليس عليك إدراك النتائج، عبادتك هي العمل وأداء الواجب فقط، أما النتائج فهي على الله، لأنه هو صاحب الدين وأنت خليفته في أرضه، أمرك ألا تجبر أحداً على الإسلام: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ [البقرة: 256] والقلوب بين يدي الله يقلّبها كيف يشاء.

وقد قال رب العزة لرسول الله ﷺ: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾﴾ [الغاشية: 21، 22]. ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ﴾... ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [القصص: 56].. وقال لنبيه: ﴿إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٢٣﴾﴾ [فاطر: 23].

وإيمان (٨٠) فرداً فقط بسيدنا نوح بعد ألف سنة ليس لعيب فيه، فهو من أولي العزم من الرسل... وقد قام بما عليه ولم يقصر، وللّه الأمر من قبل ومن بعد.

إياك من الفهم الخطأ

لقد أخذ قوم نوح فرصاً كثيرة للإيمان بالله فلم يهتدوا... ويقول رب العزة: ﴿وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ﴾ [هود: 36] فعلم سيدنا نوح أن الجيل الحالي سيظل على كفره والأجيال المقبلة محكوم عليها بالكفر؛ لأن علم الله سابق لهم أنهم لن يؤمنوا... ووجد سيدنا نوح أن الفئة التي لا يُرجى إيمانها أبداً وأخبره الله بذلك وجدهم يؤذون الفئة المؤمنة ويفتنونهم في دينهم... فخاف أن يرتدوا عن الإسلام فأراد الرحمة بهم من العودة إلى الكفر بعد أن أنقذهم الله منه... وأراد الرحمة بالأجيال المقبلة أن يكونوا حطباً لجهنم، فدعا عليهم: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾﴾ هل ينتقم منهم؟ لا، ليست المسألة شخصية، وهو قد علل الدعاء عليهم بقوله: ﴿إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾﴾، هل يعلم الغيب بكفر الأجيال المقبلة؟ لا، ولكن الله أخبره بذلك.

فهو يخاف أن يُمحى الإيمان من على وجه الأرض.

يقول رسول الله ﷺ: «**لكل نبي دعوة مستجابة... تعجل بها الأنبياء في الدنيا، وادَّخرت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة**»[1]... أرأيتم يا شباب الإسلام حب النبي لكم... يعذب ويُؤذى، ولسان حاله يقول: أتحمل من أجل أمتي فهم أحوج إلى هذه الدعوة يوم القيامة... هل استشعرتم هذا الحب...؟!

بل هل استشعرتم حب سيدنا نوح لكم وهو يقول: ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴿٢٨﴾﴾.

هل لمستم هذا الحق الذي جعله سيدنا نوح على نفسه في دعائه لمن دخل بيته من المؤمنين. فكل من زارك في بيتك له حق عليك، وكل من جاورك في السكن له حق عليك... وما هذا الحق: أن يسمع منك كلمة توقظ الإيمان في قلبه وتأخذ بيده الى ربه.

ابدأ بنفسك ولا تنس الآخرين

هل تعلمنا من سيّدنا نوح كيف ندعو... كيف دعا نبي الله نوح ربه في آخر آية من

(1) أخرجه مسلم في (الحديث: 490)، وأخرجه الترمذي في (الحديث: 3602)، وأخرجه ابن ماجه في (الحديث: 4307)، وأخرجه الإمام أحمد في (الحديث: 2/ 275).

السورة ﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِى﴾ بدأ بنفسه ﴿وَلِوَٰلِدَىَّ﴾ وهما أولى الناس بنصيب من دعائك ﴿وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا﴾ لأصحابي وأصدقائي وأقاربي ﴿وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ بقية الأمة كلها، فهي أمة واحدة... مَنْ منا يا شباب يدعو لشهداء فلسطين ولمجاهدي المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها؟ مَنْ منا يدعو للمستضعفين من المسلمين في كل مكان... الوفاء لهم ولديننا يقتضي هذا... مَنْ منا يدعو للمسجد الأقصى... إلى متى لا ندعو إلا لأنفسنا وأولادنا فقط؟!

أنت من أمة محمد ﷺ فلا تنس أن تدعو للمسلمين وتدعو على أعداء الإسلام ﴿وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًا﴾.

الدعاء للمجاهدين والمستضعفين بظهر الغيب سلاح لا يفل فنصن أمة مظلومة ودعاء المظلوم مستجاب... فهذا هو الدعاء الكامل لنفسك ولأبويك ولأصدقائك، وأقاربك وللأمة الإسلامية كلها.

اللهم اهد دَوْسا...

جاء الطفيل بن عمرو الدُّوسي إلى النبي ﷺ فأمره النبي أن يدعو قبيلة (دوس) إلى الإسلام... فظل بينهم الطفيل (7) سنوات وما استجاب له أحد إلا أربعة: امرأته وأمه وأبوه وأبو هريرة، وكذبه باقي القبيلة وكفروا برسول الله ﷺ. فجاء الطفيل إلى النبي ﷺ وقال: يا رسول الله، كذبت دوس وكفرت وأبت الإسلام. فقام النبي ﷺ وتوضأ وصلى ركعتين ثم رفع يديه إلى السماء. فقال الطفيل: فوضعت يدي على رأسي أقول سيدعو على قومي. فقال النبي: «**اللهم اهد دوساً**»، وقال للطفيل: «**عد يا طفيل وادعهم إلى الإسلام وارفق بهم**»[1]. فرجع الطفيل بعد (5) أو (6) سنوات بدوس كلها وقد أسلمت على يديه.

لا تتعجب

وبدأت صناعة الفلك... أمر الله نبيه نوحاً بقوله: ﴿وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا﴾ [هود: 37]. يقول العلماء إن صناعة السفينة استغرق (300) سنة. ولا تتعجب من هذا الرقم، نعم ليس عليه دليل من قرآن أو سنة. ولكن هذا الكم من السنوات معقول في مثل هذه الظروف.

فَلَكَ أن تتخيَّل صناعة سفينة في الصحراء سيحمل فيها من كلٍّ زوجين اثنين. تخيَّل

(1) أخرجه مسلم في (الحديث: 6397) بنحوه، وأخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (الحديث: 2/ 243).

حجمها وسعتها... ولا بد أنها ستحتاج إلى أخشاب متينة... وهو في الصحراء فلا بد من زراعة الأخشاب المطلوبة وانتظار الأشجار حتى تنمو ويصلح خشبها لصناعة السفينة... والأمر يحتاج إلى مئات الأشجار... وكم من الوقت تستغرقه السفينة لصناعتها بهذه المواصفات لتسع زوجاً من جميع أنواع المخلوقات، وتتحمل حركة أمواج كالجبال.

لقد كان سيّدنا نوح رمزاً للصبر والثبات والتضحية والفداء... حُمِّلَ الأمانة فحملها وامره ربه فبلغها... وانتهت السنوات الطويلة والقرون المديدة وبقي الأجر والثواب... ولن يموت داعي اللّه ما دام اللّه.

أحياناً يُؤخر النصر لهذا السبب...!!

وهنا سؤال: لماذا لم يهلك الله قوم نوح من غير صنع سفينة تستغرق (300) سنة؟ لماذا احتاج الأمر إلى زراعة الأشجار وانتظارها وصناعة الفلك من أجل (80) فرداً من المؤمنين.

هناك أمم كافرة أهلكها الله ونجّى الطائفة المؤمنة منها... مثل: قوم عاد، وقوم لوط التي جعل الله قريتهم عاليها سافلها.

ولكن الله ﷻ يختبر صدق إيمان من آمَنَ مِنْ قوم نوح... هل سيظلون متمسكين إلى آخر رمق لهم أم لا، فإن نجحوا نزل عليهم النصر بعد ذلك مكافأة لهم.

هناك بنات تقول: أتمنى ارتداء الحجاب لكن أهلي يمنعوني. هذا اختبار لصدق إيمانك... أو شاب يقول: يحدث لي كذا وكذا وتحيط بي الفتن ولا أستطيع المقاومة، وهذا اختبار لصدق إيمانك. تذكّر قصة سيّدنا نوح وصبره... وأثبت صدق إيمانك بالمقاومة والمجاهدة.

هناك أمة يختبرها الله بسلب مقدساتها، كأمة الإسلام التي ابتليت بسلب المسجد الأقصى منها، ويأخذه أعداء الله المغضوب عليهم مثل اليهود، فهذا اختبار لإيمان الأمة... هل ستقاوم؟ هل ستُفيق؟ أم تخضع وتستكين؟ فإن ظهر صدق إيمانهم أعاد لهم المسجد الأقصى.

يا شباب تذكروا قصة سيّدنا نوح واحفظوا سورة نوح حتى لا تملوا من عودة هذا المسجد الينا، والعاقبة - لا محالة - للمتقين.

باعيننا

يقول رب العزة لسيدنا نوح: ﴿وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا﴾. انظروا هذه الكلمة يا شباب ﴿بِأَعْيُنِنَا﴾ فلن يتخلى الله عن عباده الصالحين ساعة الفتن أبداً...

ويظل سيّدنا نوح يخاطب ربه في هداية قومه. فأمره ربه: ﴿وَلَا تُخَٰطِبْنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ﴾ [هود: 37] وكان هذا من احتراق قلبه عليهم.

يقول تبارك وتعالى: ﴿وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُواْ مِنْهُ﴾ انظر الاستجابة لأمر الله والعمل المتواصل في طاعته ﴿وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ﴾ عمل دؤوب يستغرق (300) سنة لا تخلو من سخرية... فقد رآه قومه يصنع السفينة على الأرض... لكنه يثق في ربه وفي وعده. فظل يواصل الجهد دون كلل أو شعور بالتعب.

إياكم والياس يا شباب فانتم باعين الله وفي رعايته... مهما اشتد البلاء والابتلاء... فلن يقع في كون الله الا مراد الله.

إنها ضريبة الدعوة إلى الله

يقول تبارك وتعالى في سورة هود: ﴿وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُواْ مِنْهُ قَالَ إِن تَسْخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾﴾.

يمر عليه الناس يقولون: ماذا تصنع يا نوح؟ فيقول لهم: أصنع سفينة أنجو بها ومن معي منكم. يقولون له. تنجو بها في الصحراء؟! وتخيَّلوا يا شباب حجم السخرية عندئذ. وتخيلوا مشاعر (80) فرداً مؤمناً وهم يساعدونه... ألا يغمرهم اليقين والثقة في الله؟ بلى، مَنْ منا يثق في وعد الله؟ وما حجم ثقتنا في الله؟ التي تخاف من تأخر زواج بناتها، ألا تطمئن لقوله تعالى: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [الذاريات: 22]... ألا يطمئن لهذه الآية من يشكو ضيق الرزق... إن بقية الآية: ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الذاريات: 23].

يا شباب... ان الموصول بالله هو اقوى انسان في الكون، وان ظن الآخرون انه في الظاهر موقفه ضعيف... انظر الى عزة سيدنا نوح في موقفه... انه يرد عليهم بيقين المؤمن: لقد نفذ فيكم امر الله... ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: 227].

وفار التنور

يقول تبارك وتعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ ۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾﴾ [هود: 40].

لقد أعطى الله علامة لسيدنا نوح عند قرب مجيء الطوفان... وهذه العلامة هي بدء فوران المياه في فرن بيته... عندها يبدأ سيدنا نوح في جمع الناس ووضعهم في الفلك؛ لأن إغراق الأرض قد حان وقته.

عندها سيعلم الساخرون من أصبح بالسخرية، ومن أضعف ناصراً وأقل عدداً، هؤلاء ثمانون فقط، نعم ولكن معهم رب العزة، وكفى به ولياً ونصيراً.

تُرى... ما السبب؟

عندما أراد الله أن يهلك قوم لوط أخبره: ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ ۚ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾، وعندما أراد إهلاك قوم صالح قال: ﴿تَمَتَّعُوا۟ فِى دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ ۖ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾.

فلماذا لم يخبر رب العزة نبيه نوحاً بموعد الطوفان وإنما أعطاه علامة على قربه؟ وذلك لتقوى العلاقة والرباط الذي يربطهم بنبيّ الله نوح... فلو علموا موعد الطوفان لتفرّقوا على أن يتجمعوا عند السفينة وقت الطوفان.

ولكن الإخبار بعلامة جعلهم حوله وبجواره يسألون عن ظهور العلامة. فإن لم تظهر واحتاج أحدهم أن ينصرف لشأن له ترك خبراً بمكان وجوده حتى يأتيه من يخبره بها، فتقوى بذلك العلاقة بينهم وبين نبيهم.

لماذا نذكر هذا الكلام؟ لأن بيوتنا وعائلاتنا تفككت... ولا يتقابل أفراد العائلة إلا في المناسبات البعيدة... ارتباط العائلات وتناولهم الطعام معاً، ولو كان بصفة أسبوعية أو نصف شهرية جزء من ديننا... هذا الترابط هو الإسلام بعينه.

الكثير من الشباب والأطفال بل النساء ضاعوا بسبب التفكك الأسري والعائلي فلا تجد كبيراً يُسْمع له، ولا تجد فرداً يعرف أخبار أسرته وقد يكون أباً أو كبيراً في العائلة... فما سبب هذا كله؟ هو التفكك وعدم الترابط.

وفي ظل هذا نشأ أجيال صغيرة لا تعرف بعضها؛ لأن الكبار زرعوا بذور تلك الغربة

العائلية... نتمنّى أن تترابط الأسر والعائلات حتى لا يأتي طوفان يجرف الصغار والضعاف الذين لم يجدوا من يهتم بشأنهم وانشغل عنهم بأعمال من دون ذلك هم لها عاملون... فقطعت أرحام وضاعت حقوق ونشأت عداوات.

بعض الشباب إذا خرج من بيته يضيق بسؤال أبويه: أين ستذهب؟ وللأسف بدأ يظهر هذا وسط الفتيات، تخرج الفتاة ولا يعلم أهلها أين ستذهب. ليتنا نجعل قضية فوران التنور هدفاً نجمع به شمل أسرنا وعائلاتنا.

إن هذه العلاقة جعلت الفئة المؤمنة مترابطة كل فرد يخاف على أخيه من الطوفان، كل فرد يعرف أين أخوه، كل فرد مرتبط بالكبير الذي يطاع أمره وهو سيّدنا نوح.

يا شباب... لا تسمحوا لبذور الفرقة تنشأ وتنبت وتترعرع في أرضنا وبين جموعنا... وما تفكّك الأمة الا مظهر من تفكّك الأسر... وما تفرقت العائلة الكبيرة - الأمة الإسلامية - الا وقد سبقه تفرق مكوناتها الصغيرة بسبب غياب قضية: «فوار التنور».

من كُلٍّ زوجين اثنين

لماذا حمل فيها سيدنا نوح من كل زوجين اثنين؟ لأن الأرض ستغرق وتبدأ حياة جديدة من نسل هذه الأزواج. أمره ربه أن يحمل معه المؤمنين فقط ولا يركبها كافر، وقال له احمل أهلك المؤمنين فيها أيضاً... وذكر الأهل خصوصاً يعود بنا إلى المعنى السابق وهو الاهتمام بالأهل والترابط العائلي.

ولذلك أنصح الفتاة عند الاختيار للزواج أن تختار المتديّن الذي يصنع معها سفينة النجاة... ولا تركز اهتمامها على صاحب المال أو الجاه فيجرفها الطوفان... وبنفس النصيحة أنصح الشاب المقبل على الزواج أن يختار ذات الدين التي تؤدي الصلوات وتحافظ على طاعة ربها.

أما الفتاة التي لا يهمها البُعد الديني والشاب الذي لا يهمه اسلامه وإسلام زوجته فهما يصنعان بيتاً لا يدري الا الله أين سيذهب وما مصيره...!!

وداخل البيت أيضاً

أمر رب العزة نبيّه نوحاً أن يحمل أهله في السفينة «إلا من سبق عليه القوم منهم» فأبواه مؤمنان ودعا لهما منذ قليل وأولاده أربعة: ثلاثة مؤمنون، والرابع كافر، وزوجته كافرة. فلا

يجوز ركوب الزوجة والابن الكافر معه السفينة فهي محرمة عليهم.

ما أصعب الفتنة التي كان يواجهها سيّدنا نوح... فكان يواجه كفاراً خارج البيت فإذا فرغ منهم وجد أمثالهم داخل البيت أيضاً. يقول تبارك وتعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾﴾ والخيانة هنا هي خيانة العقيدة لا خيانة العرض. فالله ضرب المثل بهما في الكفر لا في الزنى فعقيدة الزوجتين فاسدة... ولم يطلّق كل منهما زوجته... وكأن الله يريد أن يقول لنا: ليس الطلاق بالأمر السهل. فلا يصح أن يستسهل أحد كلمة الطلاق على لسانه.

ألم نقل يا شباب انه كان يدعو ليل نهار داخل البيت وخارج البيت... ما أعظم بلاءه الذي صبر عليه ألف عام... وللّه في خلقه شؤون.

أبغض الحلال

صحّ عن النبي ﷺ أن الشيطان يرسل أولاده ثم يأتيه كل واحد يخبره أباه - إبليس - بما صنعه.

- يقول أحدهم: ما زلت بفلان إلى أن زنا. فيقول له إبليس: سيتوب.
- ويقول آخر: ما زلت بفلان إلى أن شتم وسبّ. يقول له أبوه إبليس: سيتوب.
- ويقول آخر: ما زلت بهم حتى تشاجروا. فيقول له: سيصطلحون.
- فيأتي آخر ويقول: ما زلت بفلان حتى طلّق زوجته. فيقول له إبليس: أنت أنت ويُجلسه معه على العرش.

كيف يبيع الرجال نساءهم بسهولة؟! كيف أصبح الطلاق كلمة سهلة على الألسنة؟! الرجل كل الرجل هو الذي يبذل ملايين المحاولات ليحافظ على بيته وأسرته... وليس من الرجولة في شيء استعمال كلمة الطلاق والقسم بها هذاناً... قال ﷺ: «أبغض الحلال عند الله الطلاق». ألا يكون بغيضاً عندك يا مؤمن يا موحد باللّه؟!

إن ربي لغفور رحيم

يقول تبارك وتعالى: ﴿۞ وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرٖىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى

لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾﴾ [هود: 41]... إنه كمال التوكل على الله... فليس سبب النجاة هو السفينة في ذاتها، ولكن في أنها تسير باسم الله وترسو على اسم الله... أي بقاء السفينة تغالب أمواجاً كالجبال، وترسو في نهاية الأمر على جبل... إنها إرادة الله.

نجد سيّدنا نوحاً هنا يذكر الله على كل حال، فمع أن الله أمّنه إلا أنه أمر أتباعه أن يركبوا فيها باسم الله. فعندما يكون اسم الله حياً في حياتنا سنشعر بالمغفرة والرحمة، ويطمئن المؤمن داخل السفينة، والمؤمن داخل المجتمع.

لم يقل سيدنا نوح: ان الله لمنتقم جبار متلّه لانه اهلك الظالمين... فهلاك الظالم مغنم وامره الى اللّه. اما المؤمن فيحتاج ابواب المغفرة والرحمة حتى لا يصل به ذنبه الى اليأس من عفو الله: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: 156].

اركب سفينة نوح

يقول تبارك وتعالى: ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ﴾. هل تتخيَّلوا يا شباب موجاً كالجبال تسير فيه سفينة؟! فهي مهما كبرت ستبدو صغيرة في هذا الموج المتلاطم... إنه لا يقع في كون الله إلا مراده وقد أراد النجاة للفئة المؤمنة.

اليس هذا علامة حب من اللّه للمؤمنين؟ بلى... نوح وقومه صابرون مئات السنين... فلمن كانت الغلبة في النهاية؟ للفئة المؤمنة؛ لانهم نور اللّه في الارض وحملة دينه.

بمجرد أن دعا سيدنا نوح: ﴿أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ﴾ يقول رب العزة: ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ﴾ [القمر: 10 ـ 14] إنها دعوة مظلوم لم يجد نصيراً عليهم إلا الله... فكان الكون كله أداة للمشيئة العليا لنصرة هؤلاء المظلومين.

يا شباب ويا فتيات الإسلام. ان تطيعوا اللّه يعزكم كما اعز نوحاً وقومه... هيا يا شباب ويا فتيات، اركبوا سفينة نوح... انها القرآن والسنة تمسكوا بهما يصبكم ربكم ويعلن الحرب على من سواكم. فقد قال ﷺ عن رب العزة: «من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب» فمن يحارب للّه ولياً واحداً فاللّه ﷻ هو طرف المعركة ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الحج: 38].

استقيموا يا شباب تركبوا فوق موج الفتن ويعصمكم ربكم منها... ﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف: 128].

لا عاصم اليوم من أمر الله

يقول تبارك وتعالى: ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَٰبُنَيَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ ٱلْمَآءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [هود: 43، 44].

رأى سيدنا نوح ابنه وهو يغرق فتحركت عاطفة الأبوة فناداه... فظن الولد أنه في مأمن من أمر الله. وكم من شباب تائهين في الطرق يظنون أنهم في مأمن من طوفان غضب الله.

فاحترق قلب نوح على ولده: يا بني، أسرع واترك أهل الكفر... فقال سأحتمي في أحد الجبال. ونسي أن الأرض كانت خالية من الماء وأبوه يصنع السفينة على الأرض أما كفاه هذا ليصدق بنبوة أبيه؟! أي بصيرة هذه؟! وأي جبل سيعصمه والموجة الواحدة كالجبل. فهلك الولد ولا عاصم من أمر الله إلا من رحم.

سفينة اليوم هي...!!

يقول النبي ﷺ: «ما من يوم إلا ويستأذن البحر ربه أن يغرق ابن آدم يقول: إنه أكل رزقك وعبد غيرك. وتقول الأرض: يا رب، ائذن لي أن ابتلع ابن آدم، إنه أكل رزقك وعبد غيرك. وتقول السماء: يا رب، ائذن لي أن أسقط كسفاً على ابن آدم، إنه أكل رزقك وعبد غيرك، وتقول الجبال: يا رب، ائذن لي أن أطبق على ابن آدم، إنه أكل رزقك وعبد غيرك. فيقول الله ﷻ: «دعوهم لو خلقتموهم لرحمتموهم».

هيا يا شباب، اركبوا سفينة اليوم... سفينة الأمس كانت الواحاً ومسامير، وسفينة اليوم القرآن والسنة... وإن استهزأ بكم انسان... إياك من النزول، اصبر، واصبري ولا تضلعي حجابك... إياكم والنزول من السفينة... فمن سيتركها سيجرفه الطوفان.